المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

تحريم الشاي في شعر العلامة

محمذ بن احميّد الديماني (ت ١٣٥٨هـ)

The prohibition of tea in the poetry of the scholar MohamedhenIbnHmeyid Ad-Daimani (d. 1358 AH)

بقلم الدكتور

أبو بكر احميد

أستاذ مؤهل في الأدب واللغة

بجامعة العلوم الإسلامية بلعيون - موريتانيا

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

تحريم الشاي في شعر العلامة محمذ بن احميّد الديماني (ت ١٣٥٨هـ)

أبو بكر احميد

أستاذ مؤهل في الأدب واللغة بجامعة العلوم الإسلامية بلعيون- موريتانيا.

البريد الإلكتروني : aboumd4@gmail.com

الملخص

لقد مثّل الشاي الأخضر منذ دخوله البلاد الشنقيطية ابتداء من القرن ١٤ه/١٩م، نازلة فقهية مثيرة، نتج عنها جدل فقهي واسع، تباينت فيه آراء العلماء واختلفت انطلاقا من رؤاهم وأسسهم التي نظروا منها فرجحت طائفة منهم التحريم انطلاقا من المضار التي رأوها مؤكدة، بينما جنحت طائفة أخرى إلى القول بالحِلّية انطلاقا من أنها الأصل.

وكان العلامة الشاعر: محمذ بن احميّد الدّيماني (ت ١٣٥٨هـ) من العلماء الذين رجّحوا تحريم الشاي، وصدحوا بالدعوة إلى تركه، كما وضّحناه في هذا البحث الذي درسنا فيه قصيدة له خصصها لتحرير رأيه في تحريم الشاي والتنفير منه.

وبصرف النظر عن الجدل في نازلة الشاي الأخضر ومآلاته، يبقى شعر الشاي في بلاد شنقيط أدبا طريفا يؤرخ لمرحلة مهمة من تاريخ الفتاوى، وتباين آراء العلماء من المستجدات التي تطرأ على حياة الناس بين الفينة والأخرى.

الكلمات المفتاحية: شعر، شاي، تحريم، ابن احميّد، موريتاني، مساجلات، فقه، فتوى.

The prohibition of tea in the poetry of the scholar MohamedhenIbnHmeyid Ad-Daimani (d. 1358 AH)

AbouBekrenHmeyid
Professor of literature and language University of Islamic Studies in Aioun - Mauritania
Email: aboumd4@gmail.com

Abstract

Green tea, since its first entry into Mauritania (the country historically known as Chinguitti) in the 14th century AH / 19th century AD, has represented an exciting issue. This issue resulted in a wide jurisprudential controversy, in which the opinions of scholars differed based on their positions from the substance.A ratherconsiderable number of religious scholarswere inclined to its prohibition.They based this legal opinion on the potential harmful effects of tea on health, which they saw as confirmed. Whereas,many other religious scholarstook the opposite position and ruled that tea is very permissible (halal) to consume. They based their verdict on the jurisprudential rule that in principle, all things are permissible (halal) unless a religious text or the like says the otherwise.

The Mauritanian savant and poet: MohamedhenIbnHmeyid(d. 1358 AH), was one of the scholars who favored the prohibition of tea, and warned against its consumption. This paper studies a poem of his that he devoted to documenting his stance from tea and preaching against its use.

Aside from the mentioned-above controversy about green tea and its consequences, thepoetry written in that era about tea remains a quite interesting literature that chronicles an important stage in the history of fatwas, and the divergence of scholars' opinions regarding developments that occur in people's lives from time to time.

Keywords: poetry, tea, prohibition, IbnHmeyid, Mauritanian, debates, jurisprudence, fatwa, Chinguetti.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسعى هذا البحث إلى دراسة موقف العلامة المُحدّث: محمذ بن احميّد الديماني (ت ١٣٥٨هـ) من تحريم الشاي، الذي دخل البلاد الشنقيطية ابتداء من القرن ١٤هـ/ ١٩م، وأحدث جدلا فقهيا واسعا بين فقهاء البلاد، فانقسموا في شأنه، بين مُحرّم له، وقائل بحلّية شربه.

وقد اشتهر العلامة محمذ بن احميّد بالقول بتحريم الشاي من خلال فتاواه الشفوية المشهورة في محيطه العائلي والعلمي، كما أن في ديوانه الشعري قصيدة خصصها لتحذير قومه من شرب الشاي، مغلظا أمره، مشددا النكير على من يستحلون شربه، فجاءت هذه القصيدة العينية النّصحية معبّرة عن موقفه الفقهي القائل بتحريم الشاي، زاجرا قومه عن شربه وتعاطيه، مهوّلا أمره لهم، ممحضا النصح لهم، مطالبا بترك اتباع الهوى، والتزام طريق الحق والخير.

وقد اقترحت تقسيم هذا البحث وفق الخطة الآتية :

أولا/ الجدل الفقهي والأدبي في الشاي.. نصوص متعارضة

ثانيا / ترجمة موجزة للعلامة الشاعر: محمذ بن احميد الديماني

ثالثا / نص القصيدة المدروسة

رابعا / تعليق على القصيدة المدروسة.

- ✓ **ملاحظات ختامية**
- ✓ **المصادر والمراجع.**

أولا/ الجدل الفقهي والأدبي في الشاي.. نصوص متعارضة

يرجّح باحثون مختلفون أن الشاي جاء إلى البلاد الشنقيطية من الشمال عبر المغرب، عن طريق السفن الهولندية والبرتغالية الراسية في مرافئ اسبانيا والمغرب ليمر من الأخيرة إلى موريتانيا. كما يؤكد ذلك الباحث الفرنسي الخبير بالشأن الموريتاني: (ألبير لريش)؛ الذي يرجح أن الشاي دخل موريتانيا ما بين ١٨٥٨ و١٨٧٥م. ويذكر (لريش) نقلا عن المختار بن حامد، أن تاجرا سُباعيّا كان أول من استورد مادة الشاي إلى موريتانيا، وكان ذلك سنة ١٨٧٥م[١].

وقلما (تخلو المجالس الموريتانية من الشاي، إذ به تطيب النفوس ويحلو الحديث على نغمات رشفات منه، ويتساوى في عشقه بين الموريتانيين، الصغار والكبار، النساء والرجال، والوجهاء والفقراء، لم ينتشر الشاي بين الموريتانيين إلا في فترة متأخرة، حيث كان تناوله حكرا على النخبة من ذوي الجاه واليسر، قبل أن يصبح شربه عاما للفقراء والأغنياء رغم أن البلد ليس منتجا للشاي)[٢].

وقد اختلف العلماء في شأن الشاي اختلافا كبيرا، بين قائل بحرمته، رافض له، وقائل بحلّيته، مبيح له. ومن العلماء الذين ساروا في اتجاه القول بالمنع العالم المؤلف محمد الحسن الشهير بلقبه: بيدَرْ ولد الإمام الجكني الكلالي، رحمه الله، (ت١٩٥٢م) حين يقول:

---

(١) د. سيد أحمد ولد الأمير: التدخين والشاي بموريتانيا.. تقاطع التاريخ بالأدب والعادات: مقال منشور بموقع وزارة الثقافة الموريتانية على الرابط الآتي:
https://www.culture.gov.mr/ar/node/144

(٢) الشاي تحلية لجلسات الفقراء والأغنياء في موريتانيا: مقال منشور بموقع العرب على الرابط الآتي: https://alarab.co.uk/

إن الأتـاي وإن ســـــحّت سحائبُه ۞ لم يُجدِ شيئا به تقوى مذاهـــبه
لم يُغـــــن عن غيره يوما وقيمته ۞ يوما بها يكتفي الأيام صاحـــبه
وما يجُـــــر له إلا حـــــلاوته ۞ لدى الحساة وذا يدريه راغبـــه
وفعله دائما جـــرا حـــــلاوته ۞ فيه ارتكاب الهوى المنهي راكبـــه
من أجل ذا صار مجموع الأتـا سرفا ۞ لا تسرفوا قـال من تُخشى عواقبه

وعلى نهج بيدر ولد الإمام، سار العالم الأديب: بابه بن محمـــودا بـــن محنض بابه الديماني رحمه الله، حين قال:

نحِّ عني الأتـايَ إن ارتشافِي ۞ لكـؤوس من الأتـاي ضلالُ
تَلَفُ المالِ واستدارة شِـــرْبٍ ۞ وفضـــولٌ من المقال يقالُ
وكفاهُ أن الأطباءَ قـــالوا ۞ إنه في الجسوم داءٌ عضالُ(١)

ويمكن تقسيم العلماء تجاه تحريم الشاي والقول بحلّيته طائفتين، نمثـــل لكل منهما فيما يأتي:

✓ **الفقهاء المحرّمون للشاي:**

١- بيدر بن الإمام الجكني (ت١٩٥٢م).
٢- إبراهيم بن أمانة الله، الملقب: لمرابط اباه (ت١٩٦٠م).
٣- باب بن محمودن بن محنض بابه الديماني.
٤- محمذ بن احميّد (ت١٣٥٨هـ).

✓ **الفقهاء المُبيحون للشاي :**

١- محمد العاقب بن مايابى الجكني.

---

(١) أحد فقهاء النوازل: اشتهر بفتاواه المختلفة. له كتاب: "مفيد الطول والقصر بشـــرح نظـــم المختصر"، وقد شرح به نظم الشيخ محمد المامي لمختصر خليل. راجع مقالا بعنوان..... للدكتور المعلوم محمد الحضرمي، منشور بمجلة الفتوى الصادرة عـــن المجلـــس الأعلـــى للفتوى والمظالم بنواكشوط، العدد ٨/ ٢٠٢٠، ص٣٤-٣٥.

٢- أبو مدين بن الشيخ أحمدو بن سليمان الديماني (ت١٣٦٤هـ).

٣- الشيخ باب بن الشيخ سيديا.

ويوجد صنف ثالث من العلماء سكت عن الجدل في الشاي، ولم يعلن ترجيح أي من طرفي التحريم والحِلّيّة، كما هو حال الشيخ محمد الخضر بن حبيب الباركي[١]، الذي يقول بعد أن استعرض آراء العلماء المتقدمين في الشاي واختلافهم فيه: (وكذلك بل أشد، اضطرب أهل صقعنا، إلا أنهم كأنهم أحسن شعرا، لكن لا أطيل بقلامة منه، ولا من نثرهم فيه، وقد طُلب مني جدا شيء فيه نثر أو شعر عربي أو غيره، فأجمعت أن لا يقع ذلك لأمور، إلا أني في بعض أشياخي خاصة قلتُ:

أتايُ الشيخِ لا تَرتبْ شفاءٌ ۞ فما إن بعدهُ في الجسمِ داءُ

ولا بالقلبِ فهوَ أجلُّ طُهرٍ ۞ لأمراضِ القلوبِ به انمحاءُ

ولا بصحيفة الأعمالِ أرجو ۞ من الرحمنِ حُقّقَ ذا الرّجاءُ)[٢]

وكما أسلفنا، يعد العلامة الشاعر: بابا بن الشيخ سيديا -رحمه الله- واحدا من العلماء الشعراء الذين قالوا بإباحة شرب الشاي، كما يظهر في قصيدته التي يصف فيها مجلس شاي، ومنها قوله:

يُقيمُ لنا مولايُ والليلُ مقمرٌ ۞ وأضواءُ مِصباح الزجاجة تُزْهِرُ

---

(١) أحد فقهاء النوازل: اشتهر بفتاواه المختلفة. له كتاب: "مفيد الطول والقصر بشرح نظم المختصر"، وقد شرح به نظم الشيخ محمد المامي لمختصر خليل. راجع مقالا بعنوان..... للدكتور المعلوم محمد الحضرمي، منشور بمجلة الفتوى الصادرة عن المجلس الأعلى للفتوى والمظالم بنواكشوط، العدد ٨/ ٢٠٢٠، ص٣٤-٣٥.

(٢) ابن حبيب الباركي: مفاد الطول والقصر بشرح نظم المختصر، ج٢/ ص١٣، نقلا عن مقال الدكتور: المعلوم محمد الحضرمي: نوازل الشيخ محمد الخضر بن حبيب الباركي، (مجلة منارة الفتوى، العدد ٨/ ٢٠٢٠، ص٣٤-)٣٥.

وقد نسمَت ريحُ الشمال على الرُّبى ۞ نسيما بأذيال الدجـــــى يتعَثرُ
كؤوسًا من الشاه الشـــهيِّ شـــهيةً ۞ يطيب بها ليـــــل التمام فيقصُرُ
تُخِير من تجار طنجة شـــــاهُها ۞ وخِير لها من تلج وهران سكّرُ[1]

وقد أعرب البيت الأخير من هذه الأبيات عن جهـــة اســـتيراد الشـــاي والسكر للبلاد الشنقيطية؛ فقد كان يستورد الشاي من طنجة بشمال المغـــرب، أما السكر فمصدره مدينة وهران بغرب الجزائر.

وينحو الشاعر الطريف: المختار بن أوفى الألفغي (ت١٣٦٣هـ/١٩٤٣م) منحى إباحة الشاي معرضا بمن حرّموه، فيعبر – في أبيـــات ثلاثـــة- عـــن طرافة أدبية نادرة، حينما يمزج الفُصحى بالعامّية في ممازحته لأحد الشـــيوخ المعروفين بتحريمهم شرب الشاي؛ إذ نراه يتشَفّى منـــه تظرّفـــاً، فيخاطبـــه قائلاً[2]: **[البسيط]**

إنّ "الأَتَـــايَ" عَلَى التَّحْرِيمِ "جَبَّـــاهُ" قَوْمٌ وَأَوَّلُ مَـــنْ "جَبَّاهُ" "إِبَّاهُ"[3]
دَاوَاهُ بِالشَّـــايِ طَبَّـــابٌ وَقَالَ لَـــهُ لَبِّ النِّـــدَاءَ إِلَى شَايِي فَلَبَّـــاهُ
مَا خِلْتُ دَاءً سِوَى "التِّدْوَاخِ" يَنْفَعُهُ وَلَكِنَّمَـــا ذَا الشَّـــايُ "زَبَّـــاهُ"[4]

فقد وظّف الشاعر في أبياته هذه عددًا من مفردات اللهجـــة الحســـانية، معبراً بها عن طرافة الموضوع الذي طرقه فيها، وهو مداعبة الشـــيخ الـــذي

---

(١) ابن الأمير: التدخين والشاي بموريتانيا، مرجع سابق.

(٢) بنت عبد العزيز، (حيْ)، الشاي بين الفقه والأدب، (بحث مرقون بالمعهد العالي للدراســـات والبحوث الإسلامية- نواكشوط، ٢٠٠٣، ص٣١).

(٣) ابّاه: لقب يحظيه بن عبد الودود الجكني (١٢٦٥- ١٣٥٨هـــ): عالم مشهور، له محضرة عريقة، تخرّج فيها الكثير من علماء موريتانيا.

(٤) الأتاي: الشاي. جَبّاه: قرّبه منه. التّدواخ: الصداع. زَبّاه: انتقم الله له من أعدائه.

خاطبه بها، قائلاً إنّ الله انتقم للشاي من هذا الشيخ المعروف بتحريمه شرب الشاي؛ إذ انتقم الله من هذا الشيخ حينما جعل دواءه في شُرب الشاي(١).

لكن بعض الشعراء أفصح عن قلقه من هذا الواقع من خلال لجوئه إلى المحاورات التي تغلب عليها الطرافة والظرافة.. ومن هؤلاء الشعراء "أبومدين الديماني"(٢)، الذي يشكو من زمانه عن طريق محاورة طريفة رمزية مع الشاي؛ إذ يتلقّى الشاعر منه شكاواه من نُدمائه، مصغيًا لهمسه له بقلقه الشديد من اختلاف أخلاق أهل زمانه عمّن عرفهم في سالف الأيام.. وذلك في قوله(٣): [البسيط]

شَكَا الأَتَايُ إِلَيَّ الْيَوْمَ مَا يَجِدُ ... مِنَ الْهَوَانِ فَلاَ يَبْكِي لَهُ أَحَدُ

فَقُلْتُ تَيْدَكَ إِنّي صِرْتُ ذَا كَمَدٍ ... لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أَوْدَى بِكَ الْكَمَدُ

فَقَالَ لِي إِنَّنِي قَدْ كُنْتُ مُتّخَذاً ... لِفِتْيَةٍ كُلُّهُمْ فِي الْحُكْمِ مُجْتَهِدُ

وَالْيَوْمَ صِرْتُ لأَوْبَاشٍ تُصَرِّفُنِي ... فِي كُلّ نَادٍ فَلاَ لاَقَاهُمُ الرَّشَدُ

تَرَاهُمُ عِنْدَمَا يُبْدِي النَّهَارُ لَنَا ... وَجْهَ الْغَزَالَةِ لاَ يَبْقَى لَهُمْ عَدَدُ

لَهُمْ صُرَاخٌ لَدَى شُرْبِي وَقَهْقَهَةٌ ... مِنْهَا الْفَرَائِصُ وَالأَوْصَالُ تَرْتَعِدُ

لقد عبّر الشاعر – في هذه المحاورة الطريفة مع الشاي– عن قلقه من تقلّبات أخلاق سكان بلده، فهم أصبحوا في حاضرهم "أوباشاً"، بعد أن كانوا "فتية مُجتهدين" في ماضيهم، مستغلاً أسلوب الحوار الرّمزي على لسان "الشاي"(٤).

---

(١) ابن احميد: (أبوبكر): الطرائف الأدبية في أشعار الشناقطة: (بحث منشور في مجلة التعليم العلمية المحكمة، الصادرة عن المعهد التربوي، نواكشوط، العدد٤٤/٢٠١٩، ص١٩٧-١٩٨).

(٢) هو أبو مدين بن الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني: شاعر مشهور، وعالم فقيه، وسيّد مذكور في قومه. له ديوان شعر مرقون. (ت١٣٦٤هـ).

(٣) مخطوطة شخصية بحوزتنا.

(٤) احميد (أبوبكر): الطرائف الأدبية في أشعار الشناقطة: ص٢٠٠-٢٠١.

ومهما اختلف الفقهاء الشناقطة في نازلة الشاي الأخضر في القرن الرابع عشر الهجري، وتباينت آراؤهم فيه تحليلا وتحريما، إلا أن تعاقب الأيام كان كفيلا بفرضه في حياة سكان الصحراء، حتى أصبح جزءا مهما من ثقافتهم، بل أساس الضيافة لديهم.. كما هو الحال في الأبيات الشائعة للشاعر: التجاني بن بابا العلوي(ت:١٢٦٠هـ) التي يقول فيها:

الضيفُ دونَ الأتاي اليومَ مُكرمهُ * لم يُجد شيئا وإن جلّت موائدهُ**

ومن سقي ضيفَه الأتايَ أكرمهُ * ولا يُلامُ وإن قلت فوائدهُ**

جرت بذا عادة الأقوام واطّردت * والدهرُ لا بُدَّ أن تُرعى عوائدهُ**

وهو ما يعني أن عامة سكان الصحراء قد شُغفوا بالشاي الأخضر؛ فجعلوه عادة أصيلة متّبعة، معبّرة عن الكرم، فلم يلتفتوا إلى رأي محرّميه من العلماء، بل استحسنوا رأي مخالفيهم المبيحين له، إذ منافعه مشهودة معروفة للنفوس والأبدان، ولا يمكن لمن عرفها أن يحكم بتحريمه.

ثانيا/ ترجمة موجزة للعلامة الشاعر: محمذ بن احميد الديماني

هو العلاّمة المُحدّث الشاعر: محمذ بن بابكر بن احمَيـدْ بـن المختـار المعروف بـ"انجُبنانْ"، من فخذ أبناء أحمد شلَّل المكنى "أَبَا مَيْجَةَ" الديمانيين. وُلد محمذ حوالي ١٢٩٠ه، في الحدود الشرقية لإيكيدي، وتربّى في جو علمي مليء بالعلماء والحُفاظ، ودرس على جمع من الشيوخ، ثم تصدّر للتـدريس، وأخذ عنه جماعات من الطلاب[1]، توافدوا عليه من كل حدب وصوب، للنهل من معين علمه الغزير، خاصة أنّه تميّز من معاصـريه بمعرفتـه العميقـة للحديث النبوي الشريف وعلومه؛ فقد كان مولعًا به إلى حدّ الاشتغال الدائم به، والبحث فيه، والتأليف فيه.. ولا أدلّ على ذلك من ألفيته المسـماة: **(طريقـة الصلاح)**، حيثُ يُحدّثنا المؤلف فيها عن شغفه الشديد بالحديث النبوي الشريف في قوله :

ولم تزل منذُ قديم وحديثْ ۞ مُمتدةً عيني إلى علم الحديثْ

وقد تميّزت مدرسة العلامة محمذ – رحمه الله تعالى– بـالنزوع نحـو الأصوليّة.. وربّما يرجع ذلك –في نظري– إلى معرفته العميقـة بالحـديث الشريف، على الرغم أنّ مسائل الفروع كانت تُدرس في محضرته إلى جانب الأصول بالطريقة المعروفة قديمًا في المحاضر الموريتانية.

وقد ترك العلامة محمذ مؤلفات عديدة في الفقـه المـالكي، والسـيرة النبوية، ومصطلح الحديث.. ومنها –مثلاً–:

١– طريقة الصلاح وجالبة الفلاح الآتية من الحديث الشـريف بالاصـطلاح (نشرتها ضمن الجزء الأول مجموع من أنظام المؤلف سنة ٢٠١٧).

---

(١) احميد (أبوبكر): من أعلام العلماء والشعراء البوميجيين الـديمانيين: (نسـخة مرقونـة ص٢).

٢- **رسالة في حكم خروج النساء** (قدمها أحد طلاب جامعة شنقيط الحرة بنواكشوط قبل سنوات لنيل درجة الماستر، ودرسها أحدهم في المعهد العالي قبل سنوات أيضا).

٣- **ديوان شعري في حدود الثلاثمائة بيت:** أغلبه في المدح والنصح والإرشاد، وقد سبق لنا جمعه وتحقيقه تحقيقاً أولياً سنة ٢٠٠٥ أثناء تخرجنا في جامعة نواكشوط، وألحقناه بالمجموع المطبوع من مؤلفات المؤلف سنة ٢٠١٧ [1].

(١) مؤلفات العلامة محمذ بن احميد الديماني البوميجي ورسائله: اعتنى به وحققه : د. أبوبكر احميد، (ط١/ مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- المغرب، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ج١/ ص١٣-١٨).

ثالثا / نص القصيدة المدروسة:

١ - ألا ذهلت بنو ذُهل فباعُوا بما يفنى ذخائرَ لا تُباعُ[١]

٢ - فما للضيف عُدَّتَه أعَدُّوا ولا نفعُ الأرامل مُستطاعُ

٣ - وحقُّ المُعدِمينَ من اليتامى لعَمري بين أظهُرهم مُضاعُ

٤ - يُحبون اصطناعَ العُرفِ لكن مع الإعدام ينعدمُ اصطناعُ

٥ - ترى أبدا بني ذُهلٍ عُراةً وهم شُعثٌ وصبيتُهم جياعُ

٦ - يُديرون الفتيلَ على ارتياحٍ بكاساتٍ تَهَشُّ لها الطباعُ[٢]

٧ - ويَعرُو من تعوّدها فُتورٌ على ظمأٍ ويَعْرُوهُ الصّداعُ[٣]

٨ - وكيفَ يُديرُ من سكن البوادي وفي الأموالِ ليسَ لهُ اتّساعُ

٩ - ألا يا قومِ فاعتبروا بذُهلٍ وما فيه الصلاحُ لكم فراعُوا

١٠ - دعُوا شُربَ الأتاي فإنّ ذُهْلاً أضاعَ الشُّربِ مَالَهُمُ فضاعُوا

١١ - إذا ما الشايُ حَلَّ بأرضِ قومٍ فما تُغني المتاجرُ والبِراعُ

١٢ - ولا البقراتُ والأغنامُ تُغني وما تُغني المدافعُ والدفاعُ[٤]

١٣ - ومن يدعُو أحبتهُ إلى ما هووا عند الغوَى هو المطاعُ

١٤ - نصحتُ لمن لنُصحي مُشرئبٌّ وما قصدي الشقاقُ ولا النزاعُ[٥]

١٥ - ومن يَرشُدْ ويهتدينْ بذكرٍ فبالذكرى يكونُ له انتفاعُ

١٦ - لنفسكَ يا لبيبُ الخيرَ فاخترْ ولا يَكُ للهوى منك اتّباعُ

---

(١) بنو ذهل: كنى بهم الشاعر عن قومه. وهم في الأصل: ذهل بن شيبان: قبيلة عربية منها الإمام أحمد بن حنبل. راجع: القاموس المحيط، (مادة ذهل).

(٢) الفتيل: هو المفتول، الشاي الجيد الغالي الثمن.

(٣) الصداع: وجع الرأس.

(٤) المدافع: البنادق، جمع مدفع؛ لأن المدافع في الحسانية تطلق على البنادق.

(٥) مُشرئب: اسم فاعل اشرأبّ: أنصت بكامل قواه وتهيّأ للشيء.

رابعا / تعليق على القصيدة المدروسة:

جاءت هذه القصيدة بترتيب النص رقم (١٤) من نصوص ديوان العلامة الشاعر: محمذ بن احميّد، الملحق بالجزء الأول المطبوع من مؤلفاته بالمغرب عام ٢٠١٧. وهي قصيدة عينية من البحر الوافر، صرّح فيها العلامة الشاعر برأيه الفقهي في حرمة شرب الشاي، مستطردا في تحذير قومه من شربه، قائلا إنه خطر عظيم، يؤدي إلى إفقار الناس، وتضييع أوقاتهم، مستعرضا الأدلة الشرعية والعقلية في التنفير من الشاي وشربه، وحضور مجالسه.

والقصيدة – فضلا عن ذلك– يمكن تصنيفها في بابي النصح الديني والفتوى، نظرا لما أثاره الشاي –منذ ظهوره في البلاد الشنقيطية خلال القرن ١٤هـ – من جدل فقهي كبير حول جواز شربه وتعاطيه؛ فانقسم الفقهاء طائفتين: مالت إحداهما إلى القول بإباحة شربه، تمسّكا بأصل حِلّية الأشياء عامة، ونبات الأرض خاصة، وأن الشاي مختلف شكلا وتأثيرا عن الخمر في مسائل عديدة أهمها عدم السّكر، بينما رجحت الطائفة الأخرى القول بحرمته، انطلاقا من غلاء سعره الشديد آنذاك، وإتلافه لأموال الفقراء، وتضييع أوقاتهم في مجالس اللهو والفراغ، التي تنعقد عادة لشربه، هذا فضلا عن تأثيرات الشاي المختلفة في شاربيه، كالإدمان، والصداع الذي يسببه تركه بعد تعوّده.

لقد فاجأ الشاي الأخضر إنسان الصحراء فسحره سحرا، فبينما كان هذا البدوي (لا يعرف مشروبا ألذ من الماء واللبن، إذ فاجأته القوافل القادمة من الشمال، ١٨٧٥م، بمشروب الشاي الأخضر، الذي تعشّقه، وأسقط عليه كل ما

ترسب في مخزونه الشعري من صور للخمر في دواوين العرب، فأصبح هذا الوافد الجديد، هو خمرة الصحراء، التي يدمنها الواجد، ويتوق إليها الفاقد)[١].

وكما أسلفنا، يمثل العلامة محمذ بن احميّد، من خلال هذه القصيدة اتجاه تحريم الشاي من الفقهاء الشناقطة، وهو التحريم الذي سنقف عند أساليبه في القصيدة المدروسة من خلال الفقرات الآتية.

لقد بدأ هذه العينية النصحية بتصوير الخلل العميق والخطأ الكبير اللذين ارتكبهما بعض فقراء قومه يوم باعوا نفائس أموالهم مقابل الحصول على كميات قليلة من الشاي الأخضر، حين كان غالي الثمن جدا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

فاستخدم المجانسة[٢] في صدر مطلع القصيدة بين لفظتي (ذهلت) و (بني ذُهل)، قائلا:

١- ألا ذهلت بنو ذُهل فباعُوا ... بما يفنى ذخائرَ لا تُباعُ

مزاوجا بينهما، قائلا إن بعض فقراء قومه (ذُهلوا) عن الصواب والرشد، فاستحقوا نسبتهم إلى (الذهول) عندما فرّطوا في المآثر الخالدة التي كانوا سيحوزونها لو احتفظوا بأموالهم حتى ينفقونها في أوجه الخير الكثيرة، بدل صرفها في اقتناء خمرة الصحراء (الشاي الأخضر)، وقد أفادت هذه المجانسة المطلع الإيقاع الشعري والإحكام الفني.

وبعد المطلع يعرض الفقيه الشاعر نماذج من مظاهر الخلل في حياة فقراء قومه، قائلا:

---

(١) ابن آدبّ (إدّي): الشعر والشاي لدى الموريتاني.. جدل الكؤوس والطقوس (مقال منشور بموقع (الموقع) على الرابط الآتي: http://www.almawqi.com/2021/04/20.

(٢) وتسمى في بعض المصادر البلاغية بالتجنيس، وهي على ضربين: مجانسة مناسبة، ومجانسة مزاوجة. راجع: ابن الأنباري: اللمعة في صنعة الشعر: (ص٣٦).

٢-فما للضيف عـدته أعدُّوا ... ولا نفع الأرامل مستطاعُ

٣-وحقُّ المُعدِمينَ من اليتامى ... لعَمري بين أظهُرهم مُضاعُ

فقد عبر في البيتين عن تضييع حقوق الضيف والأرامل والفقراء؛ وهي -لعمري- آيات ناطقات عن خطأ التبذير للمال؛ كافيات لرسم صورة معبـرة عن الأثر السلبي لتضييع المال، لكن اللافت في الأمر أن يكون المفرّط فـي هذه الحقوق أو العاجز عنها إنما أقعده عنها تبذير ماله في خمرة الصـحراء؛ فغدا معدما لا يملك كفافه؛ أحرى أن يساعد غيره؛ فأضاع نفسه وأضاع غيره من المعدمين اليتامى الذين تعودوا مساعدته، والتعرض لفضله؛ لكن بعد إفلاسـه غدوا جميعا مملقين بحاجة لمن يمد لهم عونا يخفف عوزهم، ويقيم أوَدهم.

٤-يُحبون اصطناعَ العُرفِ لكن .. مع الإعدام ينعدمُ اصطناعُ

٥-ترى أبدا بني ذُهـــلٍ عُراةً .. وهم شُعثٌ وصبيتُهم جياعُ

ففي هذين البيتين يواصل الشاعر عرض سمات "فقراء الشاي"، قـائلا إنهم يحبون اصطناع المعروف، لكن يعوزهم ما يصطنعونه به، بعد أن تبدّلت حالهم، فغدوا يعيشون فقرا مدقعا بعد غنى طاغ، وأصبحوا "عُراة"، و"شـعثا"، "وصبيتهم جياع"، وكل هذا البؤس الذي آلت إليه حالهم مردّه ذلك المشـروب المشؤوم، الذي أدى افتتانهم باقتنائه، وحرصهم عليه أن يصرفوا فيه كل مـا يملكونه من أموال، فأخلفهم بؤسا مخيّما عليهم، جعل كل مـن يـراهم يـرقّ لحالهم ويشفق عليهم، لكن الغريب حقا أنهم يظهـرون مرتـاحين، يـديرون كاسات شايهم بكل اطمئنان:

٦-يُديرون الفتيلَ على ارتياحٍ... بكاساتٍ تهشّ لها الطّباعُ

وكأنّهم يتسلّون عن واقعهم المبكي بتعاطي كؤوس الشاي الشهيّ الجيـد (الفتيل) في مجالس تظهر سعادتهم وارتياحهم.

وينصرف الشاعر في البيت السابع إلى ذكر الآثار النفسية والبدنية للشاي في مدمني شربه، قائلا:

٧-ويَعرُو من تعوّدها فُتورٌ... على ظمأٍ ويعرُوهُ الصُّداعُ

فكثيرا ما يصاب مدمن الشاي بالصداع والفتور حينما لا يشرب الشاي في الوقت الذي اعتاده، ولعل تواتر الناس على هذه الأعراض-التي تشبه المرض المرتبط بالشاي- هو ما جعل الشاعر يرجّح القول بتحريم الشاي، ويدعو في هذه القصيدة إلى الإقلاع نهائيا عن شرب الشاي وهجر مجالسه أبدا.

ويواصل الشاعر في البيت الثامن تعجّبه ممن يحرص على إدارة كؤوس الشاي الغالي رغم بداوته وعوَزه وفاقته، في مقابل غلاء ثمن الشاي.. قائلا:

٨-وكيف يُديرُ من سكن البوادي... وفي الأموال ليس له اتّساعُ

ذلك أن اقتناء الشاي الجيّد تتطلب -بالضرورة- القدرة على دفع ثمنه الغالي الذي لا قِبَل للفقراء البداة المعدمين به، ومن ثَمّ كان عليهم هجر ما لا قدرة لهم عليه، وترك تكلّفه؛ لأن التّكلّف محرّم في الشرع، مذموم في العُرف.

وكما يظهر في الأبيات الثمانية السابقة فقد اكتفى الشاعر بالتلميح في دعوته لهجر الشاي نظرا لأضراره المادية والمعنوية الكبيرة، لكن الشاعر في البيتين التاسع والعاشر يبدأ بالتصريح الواضح لقومه بوجوب هجر الشاي وترك تعاطيه حتى يتجنبوا الضياع المؤكد الناتج عنه.. كما في قوله :

٩-ألا يا قوم فاعتبروا بذُهل ... وما فيه الصلاح لكم فراعُوا

١٠-دعوا شُربَ الأتاي فإن ذُهلاً ... أضاعَ الشّربُ مالَهُمُ فضاعُوا

فقد طالب قومه بوجوب الاعتبار بما آل إليه حال (ذُهل) الذي هو اسم كنّى به الشاعر

عن طائفة من قومه كانوا أغنياء قبل مجيء الشاي الأخضر إلى بلدهم، لكن ولعهم بالشاي ذهب بأموالهم، وتركهم فقراء معدمين، وقد ثنى الشاعر دعوته قومه بالاعتبار بمصير (ذهل) بدعوة أخرى لهم بمراعاة ما فيه (الصلاح) لهم، وهو -بحسب الشاعر- هجر أسباب الفقر والضياع وأكبرها يومئذ اقتناء الشاي الأخضر الغالي الثمن؛ حيث تأكّد ضياع الأموال والأوقات، ومرض الأبدان؛ الأمر الذي يؤدي حتما ضياع الحقوق والواجبات.

أما في البيتين الحادي عشر والثاني عشر فيواصل الشاعر تهويله أمر الشاي أكثر، ساعيا إلى إقناع قومه بترك الشاي، قائلا:

١١- إذا ما الشايُ حَلّ بأرضِ قومٍ ... فما تُغني المتاجرُ واليَراعُ

١٢- ولا البقراتُ والأغنامُ تُغني ... وما تُغني المدافعُ والدّفاعُ

لقد صوّر الشاعر الشاي طامة كبرى، أو أمرا مفزعا، لا سبيل لمواجهة خطره إلا بالابتعاد عنه مطلقا، وتركه نهائيا، حتى تضمن السلامة منه، على طريقة الشاعر القديم الذي قال:

إن السلامة من سلمى وجارتها ... أن لا تمر بواد حول بواديها[١]

فالشاي إن حلّ بأرض قوم أهلك أموالهم بجميع أصنافها، وتركها أثرا بعد عين؛ فخطره الداهم لا يميز بين نقد أو نَعَم أو بقر أو غنم، ولا تستطيع مواجهته قطعان الماشية ولو كثرت واجتمعت، كما لا تنفع فيه المدافع (الأسلحة اليدوية) وكل ذلك لتكون صورة الشاي مرعبة مخيفة عند المعدمين من قوم الشاعر علّهم ينتهوا عن الشاي، ويعرضوا عنه رجاء سلامة أموالهم

---

(١) ورد هذا البيت مهمل النسبة في مصادر قديمة عديدة، منها كتاب: أعيان العصر، للصفدي (٢/ ٧١)، والصداقة والصديق، لأبي حيان التوحيدي: ١/ ٦٦، ولم ينسباه لقائل معروف، ولعل من أقدم الكتب التي ورد فيها مهملا كتاب: المفيد العلوم ومبيد الهموم، المنسوب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (المتوفى: ٣٨٣هـ): ج١/ ص٥١١.

التي هي مدار بقاء حياتهم، وضمان وفائهم بحقوقهم الواجبة عليهم شرعا، والمطلوبة عُرفا.

وقد جعل الشاعر من البيت الثالث عشر حكمة بالغة تناسب المقام.. فقال:

١٣- ومن يدعو أحبّته إلى ما ... هووا عند الغوى هو المُطاعُ

فأراد القول إن من دعا أحبته لما يروق لهم في ساعة الغوى أطاعوه، لكنه خان أمانتهم؛ إذ الناصح الحقيقي ذلك الذي يأمر أحبابه بما فيه صلاحهم لا بما تستحسنه نفوسهم وأهواؤهم.

ويصرّح الشاعر في البيت الرابع عشر بختم نصحه وسلامة مقصده، قائلا:

١٤- نصحتُ لمن لنصحي مُشرئبٌّ ... وما قصدي الشقاقُ ولا النّزاعُ

فقد محّض النصح في نازلة الشاي الأخضر لمن اشرأبّت نفسه للنصح، فقبله دون عناد أو مكابرة، ولم يقصد من هذا النصح غير أداء الواجب؛ لذلك يستحيل أن يقصد الشقاق أو يسعى إلى النزاع.

أما ختم القصيدة النّصحية فقد مهّد له الشاعر بالبيت الخامس عشر قائلا:

١٥- ومن يرشد ويهتدين بذكر ... فبالذكرى يكونُ له انتفاعُ

فكل من يتّخذ القرآن مرشدا وهاديا ينتفع لا محالة بالذكرى والنصيحة، والعكس بالعكس.

أما خاتمة القصيدة فكانت عودا على بدء، ونصح مؤكد عاد:

١٦- لنفسك يا لبيبُ الخيرَ فاخترْ ... ولا يكُ للهوى منك اتّباعُ

لقد بدأت القصيدة بالنصح وانتهت به، من خلال خاتمة بديعة تمثل تأكيد الدعوة إلى الحُسنى لمن ينصحهم؛ إذ التزام نهج الخير، ومجافاة الهوى ومخالفته، مخصصا (اللّبيب) من عامة من يخاطبهم، مطالبا إياه باختيار طريق النجاة الحصري وهو (الخير)، والحذر في مقابل ذلك من اتباع طريق البوار والهلاك وهو (الهوى).

والناظر في هذه القصيدة يدرك أن تتابع المعاني الشعرية جاء لغرض لتأكيد أن الشاي شر مستطير، يمحق أموال الأغنياء، ويزيد الفقراء فقرا، ولا يرد هجمته مال ولا قوة، مهما كان نوعهما.

وعموما، نرى أن الفقيه الشاعر محمذ بن احميّد قد حرص في هذه القصيدة أن (يهوّل أمر الشاي تهويلا عظيما، حتى ليكاد يجعله غولا أو داهية مفظعة، ولعله بهذا التصوير الخيالي المكثّف يسعى إلى إقناع قومه بالتخلي عن الشاي وشربه، حتى لا يضيّع أوقاتهم، ويمحق ممتلكاتهم فيضيعوا)[١].

وهكذا، فقد مثّل الشاي الأخضر منذ دخوله البلاد الشنقيطية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي نازلة فقهية نتج عنها جدل فقهي واسع، تباينت فيه آراء العلماء واختلفت انطلاقا من رؤاهم وأسسهم التي نظروا منها فرجّحت طائفة منهم التحريم انطلاقا من المضارّ التي رأوها مؤكدة، بينما جنحت طائفة أخرى إلى القول بالحِلّية انطلاقا من أنها الأصل، ولوجود منافع للشاي أكبر من مضارّه، وكان العلامة الشاعر محمذ بن احميّد من الصنف الأول، كما هو واضح من قصيدته هذه، فقد صدحت نهايتها في تحريم الشاي والتنفير منه.

---

(١) ابن سيد المختار (محمد محمود): أدب الشايات في موريتانيا: (دبلوم دراسات عليا معمقة مرقونة بالمغرب، ١٩٩٠م، ص٨٨-٨٩).

ملاحظات ختامية

يمكن تلخيص بعض الملاحظات الأساسية عن هذه القصيدة النصحية في الشاي، فيما يأتي:

١- جاءت هذه القصيدة النّصحية بتراء غير مبدوءة بمقدمة تمهيدية؛ بل دخلت في غرضها ابتداء من المطلع، مستطردة في إعلان النكير على من أضاعوا أموالهم في شراء خمرة الصحراء (الشاي الأخضر)، وإظهار الضياع الكبير الذي عرّضوا له أنفسهم وأموالهم، وتبيان الحُرمة الشرعية لما اقترفوه.

٢- بُنيت هذه العينيّة النّصحية على جملة من المعاني الشعرية القائمة على العرض والأمر والنهي، فراوحت بين هذه الأساليب الثلاثة للوصول إلى القول إن الشاي الأخضر نازلة فقهية مثيرة، أضاعت أموال الفقراء وأوقاتهم، فاقتضت المصلحة الدينية تحريمه عليهم، سدا لذريعة أضراره المؤكدة ماديا ومعنويا.

٣- جنحت المعاني الشعرية في هذه القصيدة إلى تهويل أمر الشاي وتعظيمه، طلبا للتأثير فيمن يتعاطون شُربه، ويصرّون عليه، علّهم يُقلعوا عنه حينما يُصوّر لهم كابوسًا مفزعا لا سلامة مع وجوده لنفس ولا بدن ولا مال ولا وقت؛ بل لا تُجدي معه (المدافع) مهما كانت قوتها، لتبقى النجاة منه محصورة في هجره ونبذه.

٤- استطاع العلامة الشاعر محمذ بن احميّد في هذه القصيدة النّصحيّة أن يعرض موقفه الفقهي من نازلة الشاي الأخضر بوضوح وتسلسل واستطراد، فقدم مقدمة عن خطر الشاي، أتبعها باستعراض آثاره السلبية المرجّحة لحُرمته، متخلصا للجزم بتحريمه، والصدع بوجوب هجر الهوى الداعي إليه.

٥- ظهرت في مطلع القصيدة وعامة أبياتها عناية بالأسلوب، فجمع المطلع بين التجنيس والتصريع، وورد التجنيس ورد العجز على الصدر في عدة أبيات منها، مما يعني حرص الشاعر على إحكام صنعة قصيدته، وتوشية ألفاظها، وزيادة موسيقاها الداخلية والخارجية.

المصادر والمراجع:

١. **ابن احميد: (محمـــذ)**: تحقيق الجزء الأول من مؤلفات العلامة محمذ بن احميد الديماني البوميجي ورسائله: تحقيق: د. أبوبكر احميد، (ط١/ مطبعة النجـــاح الجديدة- الدار البيضاء- المغرب، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

٢. **ابن احميد: (أبوبكر)**: من أعلام العلماء والشـــعراء البـــوميجيين الـــديمانيين: (كتاب مرقون غير منشور).

٣. **ابن احميد: (أبوبكر)**: الطرائف الأدبية في أشعار الشناقطة: (بحث منشور في مجلة التعليم العلمية المحكمة، الصادرة عن المعهد التربوي، نواكشوط، العـــدد ٤٤/ ٢٠١٩).

٤. **ابن آدبّ (إدّي)**: الشعر والشاي لدى الموريتاني.. جدل الكؤوس والطقـــوس: مقال منشور بموقع (الموقع) على الرابط الآتي:
http://www.almawqi.com/2021/04/20

٥. **ابن الأمير(سيد أحمد)**: التدخين والشاي بموريتانيا.. تقاطع التاريخ بـــالأدب والعادات: مقال منشور بموقع: وزارة الثقافة الموريتانية على الرابط الآتي:
https://www.culture.gov.mr/ar/node/144

٦. **ابن الأنباري: (أبو البركات، عبد الرحمن بن محمـــد الأنبـــاري ت٥٧٧هـ)**: اللمعة في صنعة الشعر: تحقيق: د. صلاح الدين محمد الهادي، (ط١/ نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٧. **التوحيدي: أبو حيان**: علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـــ) :الصداقة والصديق: تحقيق: الدكتور إبـــراهيم الكيلانـــي، (ط/ دار الفكـــر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر- دمشق – سورية ١٤١٩هـ- ١٩٩٨).

٨. **ابن حبيب الباركي** (محمد الخضر): مفاد الطـــول والقصـــر بشـــرح نظـــم المختصر للشيخ محمد المامي. نسخة مخطوطة.

٩. **الخوارزمي**: أبو بكر محمد بن العباس (المتوفى: ٣٨٣هـ): المفيد العلوم ومبيد الهموم. (ط/ المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٨ه).

١٠. **ابن سيد المختار** (محمد محمود): أدب الشايات في موريتانيا: (أطروحة مرقونة بالمغرب، ١٩٩٠م).

١١. **الصفدي** (صلاح الدين بن أيبك الصفدي، المتوفى: ٧٦٤هـ): أعيان العصر وأعوان النصر: تحقيق الأساتذة: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عمشة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك: (ط١/ دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

١٢. **بنت عبد العزيز** (حيْ): الشاي بين الفقه والأدب (بحث مرقون بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية- نواكشوط، ٢٠٠٣).

١٣. **الفيروز أبادي**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ): القاموس المحيط: تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (ط٨/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).

١٤. **منارة الفتوى**: مجلة علمية محكّمة تصدر عن المجلس الأعلى للفتوى والمظالم، نواكشوط، موريتانيا، العدد ٨/ ٢٠٢٠، مقال منشور بعنوان: نوازل الشيخ محمد الخضر بن حبيب الباركي: د. المعلوم محمد الحضرمي.

١٥. **موقع العرب**: الشاي تحلية لجلسات الفقراء والأغنياء: مقال منشور على الرابط الآتي:

https://alarab.co.uk/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D9%8A

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٢٢
٢-	Abstract	٣٢٣
٣-	مقدمة	٣٢٤
٤-	أولا/ الجدل الفقهي والأدبي في الشاي.. نصوص متعارضة	٣٢٥
٥-	ثانيا/ ترجمة موجزة للعلامة الشاعر: محمذ بن احميد الديماني	٣٣١
٦-	ثالثا / نص القصيدة المدروسة:	٣٣٣
٧-	رابعا / تعليق على القصيدة المدروسة:	٣٣٤
٨-	ملاحظات ختامية	٣٤١
٩-	المصادر والمراجع:	٣٤٢
١٠-	فهرس الموضوعات	٣٤٤